

مع عدمية المثل والأمل ضدّ عدمية الحياة والعمل:

لوك فيري و أندريه كومت سبونفيل نموذجين

With the nihilism of ideals and hope against the nihilism of life and

work: Luc ferry and Andre comte sponville two models

شهرزاد حمدي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، (الجزائر)، ch.hamdi@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2022/07/31

تاريخ القبول: 2022/03/13

تاريخ الاستلام: 2021/10/25

ملخص: مع حلول عصر مابعد الحداثة، تم الكشف عن الوعود الزائفة للحداثة وأساطير المبادئ التي تغتت بها؛ حيث دخل العقل الغربي مرحلة عصر الخيبة جراء حدوث مفاعيل عكسية للتراث الحداثي؛ أين شهد سقوط مفاهيم كالعقلانية الموضوعية، التقدم، الخير. في هذا السياق برز فلاسفة على صلة مع المعاصرة، يبنوا تهافت مثاليات الحداثة في زمن الحروب وفراغ الإنسانية من دلالاتها. لكن ورغم المآلات المظلمة، فإن بعض من هؤلاء الفلاسفة رفضوا الوقوع في شرك عدمية الشاملة، والحديث هنا يتعلق بكل من الفيلسوفين الفرنسيين لوك فيري وأندريه كومت سبونفيل، كأصدق حاليتين فلسفيتين عبّرتا عن عدمية خطاب العقل الحداثي مع ذلك رفضتا التنازل لها بشكل كلي. ليكون هدف هذا البحث هو تبيان مظاهر عدمية الأوروبية المعاصرة مع أبرز شخصياتها، في ذات السياق البرهنة على وجود عقول فلسفية آمنت بحالة عدمية غير أنها آمنت بشكل أكبر بمعنى الحياة، إرادة العمل، لنصل إلى حقيقة وجود أزمة كالعدمية، كان لها الانتشار الواسع مع ذلك لم تتمكّن من السيطرة على العقل الفلسفي المتطلع للأفضل. كلمات مفتاحية: الحداثة، مابعد الحداثة، عدمية، الحياة، العمل.

Abstract: With the advent of the post-modern principles were revealed; the western mind has entered the age of disillusionment by the backlash of modernist heritage; where he witnessed the fall of your objective rationality, progress, good. In this context, it has emerged that the hacks are related to the contemporary, benoît recovered the ideals of modernity in a time of war and the vacuum of humanity from its connotations. But despite the dark tilts, some of these philosophers refused to fall into the overall nihilism trap, the talk here concerns both French philosopher Luc ferry and Andre comte sponville, as the truest of two philosophical cases, they expressed the nihilism of the speech of the modernist mind, yet they refused to concede to her altogether. The objective of this research is to illustrate the manifestations of contemporary European nihilism with its most prominent personalities, in the same vein, there were philosophical minds that believed in nihilism but believed more in the sense of life, the will to work, let's get to the reality of your nihilistic crisis it as widespread, yet you couldn't control the philosophical mind looking for the best.

Key words: Modernism, Postmodernism, Nihilism, Life, Work

1. مقدمة:

تعبّر نزعة العدمية (Nihilism) كرؤية للعالم (View of the world) تسكن ملكة التصوّرات، عن حالة عبثية تشاؤمية، تعمل على طرح العديد من الشكوك حول الاعتقادات الموجودة، وترسم طريق معلمه الجوهري هو الارتياح بشأن التمثّلات الراسخة، والمفاهيم المتداولة التي يُكتب لها الحضور أكثر ممّا تلج عالم فلسفة الفعل. وتصبح العدمية نمطاً وجودياً اعتقادياً وسلوكياً قوي، حينما تتعارض النتائج مع المبادئ؛ خاصة إن تكن المنطلقات على سيرة القيم والمثاليات والرؤى الإنسانية العادلة، والوعود الزاخرة بالأمل، وميثاق الحقوق وبنود الحرية، حتى تجد نفسها في اصطدام مع واقع يخالفها جملة وتفصيلاً، في هذه اللحظة تنبثق العدمية وتتموضع بعمق ضمن جملة المنظورات المعبر عنها تُجاه العالم، والحياة ككل. ويأتي الفكر الفلسفي كمثال حيّ عن المنزع العدمي، إذ تشهد عقولنا المتنبّعة لمخرجات هذا الفكر، تبيّ بعض الفلاسفة للعدمية في نقدهم للحركة الفكرية الماضية ونواتجها الحاضرة، وللحركة الفكرية الحاضرة ومآلاتها المستقبلية، إيماناً منهم بخروج المبادئ المسطرة عن سياق الانسجام والتوافق مع النتائج، بلغة منطقية رياضية سقوط شرط النسق. وبالعودة القلقة لتاريخ الأفكار الفلسفية، نقف عند مرحلتين فارقتين أرخياً للعدمية، الأولى بفعل نتائجها، والثانية بفعل منطلقاتها، بصيغة أكثر وضوح، فالأمر متعلّق بمرحلة الحداثة (modernism) ومرحلة ما بعد الحداثة (postmodernism). فمع نهاية القرن التاسع عشر، بداية القرن العشرين، بدأت شعارات التنوير تفقد حظوظها للبقاء أكثر، وتم تسجيل مواقف نقدية لازدة من الحداثة الغربية وسردياتها الواهمة، تشكّل هذا الفعل المناهض والاحتجاجي بداية بالواقعة العرضانية لفيلسوف المطرقة "فريدريك نيتشه" Friedrich nietzsche (1844_1900م)، وهي تحاول توقيف المسار الخطّي للعقل الغربي المنتشي بالتراث اليوناني في جوهره الأفلاطونية وروحه السقراطية وتفكيره الأرسطي، لتضعه على محك النظر الجذري، الذي يُحكم المركز ويستجوب الحقيقة ويُزعزع كيان اللوغوس. لتستمر هذه النمطية الفلسفية الجديدة، بل وتزداد وتيرتها مع شخصيات فلسفية هم ورثة "نيتشه". لكن وفي مقابل هذا التوجّه العدمي الراديكالي، هناك من استثمر العدمية بشكل إيجابي، حتى أنه يمكننا القول أن "نيتشه" نفسه لم يغرق فيها لحد النكّران المطلق، بل دخل عبرها وخرج منها وهو يؤمن بإرادة القوة وإمكانية قلب الأحوال لصالح الإنسان الأعلى. ويمثّل كل من الفيلسوف الفرنسي "لوك فيري" Luc ferry (1951م) ومواطنه "أندريه كومت سبونفيل" André comte sponville (1952م) حالتين فلسفيتين بارزتين في إطار الحديث عن أزمة العدمية التي رفضا الامتثال الكليّ لدلالاتها، وأسّسا لرؤية خاصة تنقد الماضي الحداثي من خلال الحاضر المابعد حداثي، في ذات الوقت تتمسّك بالحياة وتدعو للعمل حتى تتحقّق الرغبات. وعليه نتساءل: كيف

انخرط كل من "لوك فيري" و"أندريه كومت سبونفيل" ضمن أزمة عدمية من دون الاستغراق فيها؟
وفيم تتمثل أهم دعواتهما الفلسفية؟

أما فرضيات البحث، فهي كالتالي:

_ تموضع عدمية بعمق ضمن أهم الأزمات القليلة المعاصرة، التي عبّرت عن رؤية العالم الفلسفية.
_ اتسام فترة مابعد الحداثة بسمة النقد الجذري الذي حاكم فترة الحداثة وأسسها، وتجلّى عدمية كملمح جوهري لموقف النقد.

_ تفضيل كل من الفيلسوفين الفرنسيين "لوك فيري" و"أندريه كومت سبونفيل" الوقوف مع أزمة
العدمية وضدّها في الوقت نفسه، حفاظاً بذلك على أهم تقليد فلسفي وهو النقد المتبوع بالبناء.

ولا يخلو أي بحث من جملة أهداف تُسطر قصد تحقيقها، حيث كانت أهدافنا:

_ عرض وتقديم مع تحليل مفاصل أزمة العدمية والعقول الفلسفية التي مثلتها.

_ الكشف عن الدور المحوري الذي تتقلّده مسألة المبادئ والمسلمات في تفعيل المنظومات الفكرية وفي
قلب المواقف ضدّها وانبثاق الأزمات.

_ التدليل على فَرادة العقل الفلسفي في إدارة الأزمات، وذلك من خلال اختيار النموذجين السالفين
الذكر، في خطوة تثبت ميزة الفلسفة في تبني الحدث والانخراط ضمن التيار الأزمي الراهن لها مع ترك
مسافة نقدية تتحرّك في فُلُكها تطلّعا واستمسكا بالمعنى والحياة والإرادة والعمل.

أما منهجية البحث، فلقد اعتمدنا على منهج رئيسي وهو: المنهج التحليلي في تحليل الأفكار واستخراج
المعنى، بالإضافة إلى عقد بعض الصلات الفكرية والمقاربات بين فكرة فلسفية وأخرى (منهج المقاربة)،
والمنهج النقدي الذي تم تفعيله من خلال عرض فكرة معينة لتأتي بعدها فكرة أخرى أخضعها للنقد،
مثل: الحداثة، مابعد الحداثة.

2. في المسألة المفاهيمية للعدمية، الحداثة، ومابعد الحداثة

تتميّز الفلسفة عن غيرها من الحقول المعرفية، بالقدرة على نحت المفاهيم وإرفاقها بجملة من المعاني،
حتى يتمكن العقل المشتغل بها من الخوض في مسائل وإشكالات فلسفية، وبناء الأفكار، وتحليلها،
وتركيبتها، ونقدها، والخروج بطرح استنتاجي معيّن، فالمفهوم هو عصب التفلسف؛ لأن بقية المحطات
المنهجية تأتي تَباعاً بعد محطة خلق المفهوم. ويزخر الحقل الفلسفي بمجموعة هائلة من المفاهيم تناقلها
الفلاسفة فيم بينهم، وأضافوا عليها تعديلات وتحويرات، وفي بعض الحالات يتم استبدالها بمفهوم جديد
يتفق والمرحلة التاريخية، والخارطة الاجتماعية الثقافية، والنظام السياسي، والاقتصادي المنوط بذلك
العهد الزمني. وستكون لنا وقفة باحثة عن دلالة ثلاثة مفاهيم، تتقدّمهم مفردة العدمية.

1_2_ مفهوم العدمية (The concept of nihilism)

من المفاهيم الحاضرة بقوة في الفلسفة، بخاصة في الفترة المعاصرة، نجد مفهوم العدمية، والذي شكّل محور فكري مهم تبنته عديد العقول الفلسفية، بالتحديد تلك التي عكفت على ممارسة النقد، وخوض تجارب الزعزعة، والخلخلة العنيفة للمراكز. وتفيد العدمية في التعريف المعجمي الفلسفي، أنها:

"1_ نظرية تقرّر أنه لا يوجد شيء على الإطلاق، نادى بها جورجياس ودلّل على ذلك بثلاث قضايا:

أ_ لا يوجد شيء

ب_ إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه

ج_ إذا أدركه فلن يستطيع أن يبلّغه لغيره من الناس.

2_ نظرية تنكر القيم الأخلاقية. عند نيتشه الظواهر الأخلاقية لا وجود لها في ذاتها، وكل ما هنالك تفسير أخلاقي للظواهر فحسب. وهذا التفسير نفسه صادر عن ينبوع خارج الأخلاق.

3_ أطلق هذا اللفظ في رواية ترجيف "آباء وأبناء" على نظرية لأحد الأحزاب تدور على تحرير الفرد من كل سلطة مهما يكن نوعها، وأطلقه الرجعيون في روسيا على الديمقراطيين الثوريين الذين يدعون إلى إنكار التراث، ومن هذه الزاوية العدمية مرادفة للفوضوية" (وهبه، 2007، صفحة 415)، والملاحظ أنه بالرغم من اختلاف السياقات المقدّمة لمفردة العدمية من السياق الفلسفي، إلى السياق الأدبي المجسّد في السياق السياسي، فإنها تتفق حول نقطة جوهرية وهي كون العدمية تفيد الامتناع والنفى، على نقيض القبول والاثبات، فهي تنكر وجود مقدرات إنسانية مطلقة في تبليغ الحقيقة، التي تغيب هي ذاتها، وهي ترفض القيمة الأخلاقية المتعالية المستغرقة في ذاتها، أي البريئة من كل نفع ومصلحة، كما أنها تشير بالحاح إلى التمرد على كل سلطة تقيد حرية الفرد لدرجة أنه يتم إرفاق العدمية بتبرير هذا المعنى بالفوضوية (Anarchism).

ذات المفهوم، نجده في موضع معجمي فلسفي آخر، أين يذهب مؤلفه إلى أن العدمية نزعة في الفلسفة والأخلاق والسياسة، تعتمد بالأساس على النفي والإنكار؛ حيث ترفض الإقرار بوجود حقيقة ثابتة بصيغة مطلقة كما صنع جورجياس، وتستند على القول النيتشوي في أن القيم الأخلاقية مجرد وهم وخيال، إضافة إلى هذا، فإنها تُفرغ أي دولة أو تنظيم سياسي من الأهمية في حالة استبداده بالفرد وسلّبه لحرّيته كما قال بذلك كورنيل (مذكور، 1983، صفحة 118)، فالعدمية كروية شاملة، إنما تمسّ ثلاث مجالات حيوية، لها دور محوري في النهوض بالمجتمع والدفع به نحو التقدّم؛ الفلسفة وبناء الفكرة، الأخلاق و بناء القيمة، والسياسة وتنظيم عملية تطوّر الفكرة وتجسيدها مع المحافظة على القيمة، ورعاية شؤون ومصالح العامة. هذا هو الأصل في عمل كل مجال، لكن ما إن يجنح عن وظيفته، فإن العدمية تطاله. والأمر الواضح هنا، أن نزعة العدمية تنبثق ضدّ كل خروج عن نسق، لتكون بدورها خروج عن النسق

السائد، فهي ضدَّ النواتج العكسية للمنطقتات، وهي على مسافة نقيضة من مزاعم الحقائق الثابتة والكليات، بإيجاز: هي الضدَّ للمطلق المثالي الذي يُخفي واقع الفساد الفكري، القيمي، والسياسي. أما المفهوم التالي، فيرتبط بحالة فلسفية، ارتبط بها فعل التغيير على مستوى المنظورات والرؤى، والأهم المسار، من الضغط والكبح إلى الانفجار والتحرر، وهو مفهوم الحداثة.

2_2 مفهوم الحداثة (The concept of modernism)

تأتي الحداثة في طبيعة المفاهيم التي أثارت جدلاً ونقاشاً مفتوحاً حول المعنى النهائي لها، حيث تجاذبت هذا المفهوم العديد من وجهات النظر، اختلفت في طبيعة الرؤية من فلسفية إلى سوسيولوجية إلى تاريخية، غير أنها اتفقت على الإقرار بجملة من الخصائص تُحدّد النطاق الدلالي لمفهوم الحداثة، الذي يتميز بكونه خطأ فاصلاً في تاريخ الفكر الغربي، نظراً لمجموع التغيرات التي أحدثها على مستوى شبكة النظر والفهم والتفكير، ليتم إسقاط التغيير النظري وإدراجه ضمن المعتكك العملي. في البداية يمكن القول أن الحداثة ليست "مفهومًا سوسيولوجيًا ولا مفهومًا سياسيًا، وليست بالتمام مفهومًا تاريخيًا، بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات السابقة عليه أو التقليدية. فمقابل التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنها شيء واحد متجانس عالميًا انطلاقًا من الغرب" (سبيل، بنعبد العالي، 2006، صفحة 7)، يفيد هذا المفهوم، أن الحداثة لا تختزل في الشقّ السوسيولوجي أو السياسي أو التاريخي، إنما هي كلّ مركب حضاري، تمازجت داخله حلقات تحديثية مختلفة وتفاعلت بتجانس فيم بينها، معلنة بذلك عن موقف تعارضي مع كل ما هو تقليدي كلاسيكي. لكن، طبعًا هذا لا يعني بإطلاق إحداث تعارض كليّ مع الثقافات السابقة ورؤى العالم القديمة، لأن الحداثة نفسها لم تتبلور إلا بإحياء التراث اليوناني والروماني، وتبني قيم الحرية، النقد والديمقراطية. بهذا المعنى يتّضح أن الحداثة تحوّل عن المجهود في الفكر والعمل، تحوّل

يشمل الجانب الاقتصادي، فالتحديث كعملية حيوية لمرحلة ختامية توجت بقيام ما يصطلح عليه بالحداثة، هو مجموع العمليات التراكمية التي تسعى إلى توجيه المجتمع نحو تحقيق إنتاجية أكبر من الإنماء والتطور والتقدم، وذلك عبر تعبئة الموارد والثروات وتطوير قوى الإنتاج، كما يشمل الجانب السياسي، الهادف بالأساس إلى تأسيس دولة المؤسسات التي ترمي إلى تحرير تقاليد وأعراف النشاطات السياسية بغرض المشاركة في الحياة العامة، إضافة إلى تغطية الجانب الاجتماعي، من خلال بلورة القيم والقوانين وإبعاد طريقها عن طريق المواقف العقائدية والمرجعيات اللاهوتية (المسيري، التريكي، 2003، صفحة 214)، هذا ما يؤكد الطرح السالف الذكر بأن الحداثة كثمرة لعملية التحديث، تتسم بالتعقيد والتناسج بين عديد الحقول، التي تخضع لمنطق التراكم؛ حيث يؤثر كل تحديث في حقل معيّن على آخر، وهكذا حتى تأسست الحداثة كبنية مركبة. يُضاف إلى التحقّقات الدلالية لمفهوم الحداثة السابقة، أن

فكرة الحداثة في شكلها الأكثر طموحًا، هي التأكيد على أن الإنسان هو ما يفعله. هناك إذن صلة تتوطّد أكثر فأكثر بين الإنتاج الذي أصبح أكثر فعالية بفضل العلم والتكنولوجيا، وإدارة من جانب وبين تنظيم المجتمع الذي ينظمه القانون والحياة الشخصية، وتنعشه المصلحة وكذلك الرغبة في التحرّر من كل الضغوط من جانب آخر تورين، (1997، صفحة ص 19)، هذه هي العقلنة (Rationalism) التي طبعت الفكر الحديث؛ حيث تحدّد مفهوم الإنسان بما يصنع ويفعل، فالفعل هو الدلالة الجوهرية لمفهومه، وليس النطق كما تردّد مع "أرسطو" (Aristote 322_384 ق.م) مثلاً، عقلنة حياته كلها، من تنظيم وترشيد، وأصبح الإنتاج هو السمة البارزة لهذا الفعل، خاصة وأنه مدعوم بقوى العلم والتكنولوجيا، ممّا سهّل مهمة تطبيق الأفكار في شكل ممارسات تقنية. كما أخذ المجتمع ينتظم أكثر فأكثر، والإدارة تتعقّلن، وذلك بواسطة القوانين التي تحكم وتسيّر، بالإضافة إلى الفردية الحداثيّة، التي جعلت من الإنسان مرجعية ذاته، بتبرير أنه كائن حقوقي، يتمتع بالحريّة، حق الملكية والتصرف، وهذا يرتد إلى تعاضم براديغم المصلحة والنفع؛ إذ حدث التغيير باتجاه المنافع عملاً بقواعد المنطق البرغماتي الذي تحدّد الإنتاجية من كل جهة، كما يعود هذا التحوّل إلى الرغبة الشديدة لإنسان الحداثة في الانعتاق من أسر القيود المجتمعية وخاصة الدينية التي تفرض عليه نواميس رأى فيها السجن لحريّاته. لكن بالنظر إلى مجريات مابعد الحداثة، هل تجسّد فعلاً المشروع الحداثي في الإعلاء من قيمة الإنسان فوق كل القيم؟ ألم يحدث العكس وانتكست المبادئ؟ ليجد الإنسان نفسه أمام مشاهد بمثابة نواتج مضادة لما أعلن عنه ميثاق الأنوار.

2_3 مفهوم مابعد الحداثة (The concept of postmodernism)

كما تمّوضع مفهوم الحداثة في عمق القلق الفلسفي، فكذلك الأمر، أو لنقل الأكثر من ذلك مع مفهوم طرحته العقلانيات الفلسفية المعاصرة، التي وُلدت بعد القرن 19م؛ أي مابعد الحداثة، الذي أخذ حيّزاً كبيراً من الاشتغال المفهومي، بسبب تعدّد الرؤى حوله، واختلاف الدلالات المُعطاة له. مع ذلك ورغم كثرة المنظورات الفلسفية لمفهوم مابعد الحداثة، فإنها اتفقت في بعض الخصائص، التي لحقت به، حتى أضحت في وضعية استحضار متى كان الطلب مفهوميّاً. بداية، "مصطلح مابعد الحداثة، مصطلح نفي سلبى، وهو ترجمة لمصطلح post-modernism، أو postmodernism، وقد تستخدم كلمة post modernity، للدلالة على الشيء نفسه. وأحياناً يطلق على مصطلح مابعد الحداثة، تعبير مابعد البنيوية، بالإنجليزية: post structuralism، باعتبار أن فلسفات مابعد الحداثة قد ظهرت بعد ظهور وسقوط الفلسفة البنيوية. ويكاد مصطلح مابعد الحداثة يترادف ومصطلح التفكيكية، وللتمييز بينهما، يمكن القول أن مابعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية العامة، أما التفكيكية فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة" (المسيري، التريكي، 2003، صفحة 81)، انطلاقاً من الأفكار المقدّمة، نصل إلى أن مفهوم

مابعد الحداثة، هو مفهوم للنقد والنفي، وهو حالة فكرية عبّرت عن ما بعد الحالة الفكرية القبلية؛ إذن هو حالة بعدية، جاءت على حسب بعض التوصيفات بعد انهيار الفلسفة البنيوية، لترادف مصطلح مابعد البنيوية، وهنا تتجلى إحدى أهم مميزات مابعد الحداثة؛ حيث أن البنيوية كفلسفة وكمذهب، كانت تهتم بما يسمّى بالنسق المغلق، وترى أنه بالإمكان الوصول إلى الحقائق الثابتة والكلّية من خلال الانحباس في أسوار النص، تحت شعار: "لا شيء خارج النص"، لكن هذا الأمر هو المدعاة الأولى للانقلاب؛ أين سقطت مفاهيم الانغلاق والشمول والكلّية مع حلول عصر المابعد، ومنه مابعد البنيوية الذي ترادفه مابعد الحداثة، بالتالي تأخذ نفس الموقف وهو الضدّ والنقد، كمثال: في مقابل الانغلاق أُلحِت الانفتاح، واستدعت الجزئيّ المستغرق في الكلّي، كما عملت على طرد عقلية توحّي الموضوعية الزائفة، واستحضرت عقلية التوجّه نحو الواقع بمجموع عناصره، فالفكرة وليدة مصلحة شخصية قبل أن تكون في ولاء للنص وحروفه، ثم إن اللغة ذاتها كعصب للنصوص هي استعمال إنساني سوسيوثقافي. كما أن مصطلح مابعد الحداثة يقترب كثيرًا من مصطلح التفكيكية، كأهم حركة انبثقت بعد البنيوية، والتيار يشير إلى مناهج الهدم والتقويض، الخلخلة والإزاحة، من ثم إعادة ترتيب الأمور، بل تركها في حالة تشظّي كما يعلن عنه مفهوم الإرجاء. يذكر البعض في دراساتهم أن مابعد الحداثة هي حركة فكرية أساسها النقد والرفض للأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة، والمسلمات التي سلّمت بها هذه الحضارة، بأقل درجة ترى أن الزمن قد تخطأها وأعلن عن منطق التجاوز (عطية، 2008، صفحة 23)، هي عملية قلب للمبادئ بنقد سابقتها ووضع أخرى تتناسب وروح العصر، بتبرير أن الزمن نفسه لم يعد يستوعبها، لأنها خارجة عن نطاق المعيش والواقعي، بطبيعة الحال هذا هو المعنى الجوهرى لمفهوم الانتكاسة، فحينما تتصادم المبادئ مع النتائج، يطلب الزمن من العقل أن يغيّرها، فهي عاجزة عن التنسيق مع مجريات الحدث، بالتالي تشير مابعد الحداثة إلى مابعد المبادئ السالفة. وإذا ما تساءلنا عن البدايات الأولى لهذه الحالة الفكرية المستجدة، "ترد معظم - وربما كل - الدراسات أصول مابعد الحداثة وفلسفة الاختلاف إلى نيتشه، الذي يمثل مفترق الطرق تفرّعت عنه مابعد الحداثة بخطيها، خط نظرية السلطة كما تطوّرت لدى فوكو مرورًا ببتاي، وخط نقد الميتافيزيقا الذي ورثه هيدجر ودريدا، فهو يطبق جدل العقل لكي يفجّر الغلاف العقلاني للحداثة" (المرجع نفسه، صفحة 24)، إذن، ترتد لحظة مابعد الحداثة في المجال الفلسفي، لأنه لا يخفى على القارئ أنها حركة شملت مختلف المجالات، نذكر المجال السوسيولوجي مثلاً وظهور مصطلح مابعد صناعي (postindustrial) القريب في توجّهاته من مصطلح مابعد الحداثة في الستينيات من القرن الماضي، ترتد إلى اللحظة النقدية النيتشوية الثائرة، التي حبكت معانيها من خلال الجديد الذي حملته؛ من مفاهيم، منهج في القراءة والتأويل من دون أن تسطّر للمصطلح حروفه. فالفكر النيتشوي هو بمثابة فاتحة عمليات تهميمية للتراث الغربي، وحامل مشعل المساءلة والمحكمة الشديدة اللهجة لنظريات

الحقيقة المزعومة والمدعومة بخلفيات تسلطية، تهدف إلى فرض سُلطة النظر والعمل كما تجلّى في كتابات الحفري "ميشيل فوكو" Michel faucut (1926_1984م)، والفرنسي الخيط الناظم بين الأدب والفلسفة "جورج باتاي" George bataille (1897_1962م)، ولتقويض الميتافيزيقا الغربية ومراكز إنتاج المعنى المشدودة بشكل مطلق للوغوس كما توضّح ذلك بعلانية مع طُرُوحات فيلسوف الدازيان "مارتن هيدغر" Martin heidegger (1889_1976م)، والتفكيكي الهامشي "جاك دريدا" Jacque derrida (1930_2010م)، ومنه فمابعد الحداثة هي مابعد المركز، العقل، المعنى، المغلق؛ إذ تفيد المابعد هنا تشرّيح بنية الماقبل، الذي قلبت أسسه، وأحلّت خلخلة كبيرة لمسلّماته، وفضحت ألعيبه، لئُفضي هذا الحال إلى قيام عهد العدمية، الذي يعود بقوة إلى مبادئ العقل الحديث المنتهية إلى نقيضها.

3_ مبادئ الحداثة وعلاقتها بحلول عصر العدمية

تتأسّس أي مرحلة فكرية من مراحل تطوّر العقل الإنساني على مجموعة من المبادئ والمسلّمات، يسلم بها ويتّخذها تقاليد معرفية واعتقادات لا ريب فيها، لا يمكن التنازل عنها، ليحدّث وتترسّخ أكثر فأكثر من خلال الممارسة وشموليتها لعدد القطاعات الحياتية، وهذا بالضبط ما شهده العقل الحديث؛ حيث آمن بجملة من المبادئ، كانت الفاعل المحوري في ولوجه عالم التنوير بعد خروجه من أزمة القصور كما يصفها الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" Immanuel kant (1724_1804م)، من أهم هذه المبادئ، هي: الحرية (Freedom)، الفردانية (Individuality)، العقلانية (Rationality)، الشك (Skepticism) النقد (Criticism)، العلمنة (Secularization)، منطق الحق (Logic of right)، والتي أمّست في مجملها لأجل النزعة الإنسانية التي تجعل من الإنسان هو المركز في انتفاء لكل المركزية الأخرى، بالتحديد اللاهوتية، بالتالي تأليه الإنسان، وأنسنة القداسة، وعقلنة الأسطورة؛ بمعنى قلب كل شيء لصالح الإنسان بتبرير العقلانية وضرورة سيادتها. ممّا خلق ذهنية تعتقد بأن التاريخ الإنساني يسير نحو التقدّم، وأن حياته ستملؤها السعادة فهي في متناوله، لأنه قادر على التحكّم بالكون بواسطة القدرة على التنبؤ ورصد المحتمل، كما ردّد ذلك الفيلسوف الفرنسي الراهني، المفكّر المتعدّد "إدغار موران" Edgar morin (1921م)، في رصده لثلاث أساطير كبرى للحداثة، تتجلّى في: "أسطورة التحكم في الكون التي قال بها كل من ديكارت وبوفون وماركس... وأسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع كوندورسي، وثالثة هذه الأساطير هي أسطورة السعادة" (موران، 2012، صفحة 25)، بهذه الكيفية كانت تعتقد الخارطة الذهنية الحداثيّة، إلى درجة أنها تعالت بالمعقولية والنزعة الإنسانية إلى رتبة المقدس. لكن مع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت موجة القلق تنتاب العقل الغربي من مبادئ الحداثة، وذلك لما بيّن الواقع تهافتها، وأن ما يحدث فعلاً هو العكس، فإذا انطلقنا من فكرة النظر إلى الإنسان بوصفه يتمتع

بالحقوق، أبرزها الحق في الحرية، الحق في الحياة، الحق في التعبير عن الرأي، فإن النتيجة تخالف السبيل، تجريم للحريات بل وكبتها، تحطيم المقابل المختلف، تعنيف الغير في زمن الحروب والقتل، تدنيس المقدسات لديهم، الحال الذي أدَّى إلى قيام عصر العدمية في نظر بعض الفلاسفة، لأن كل القيم التي تغتت بها الحداثة هي مجرد شعارات لم تدخل عالم الفعل، أو أنها تعاضمت فسقطت في شرك النقيض، فتراجع الجوهر الإنساني مع تقدّم وصعود كل ماهو غير إنساني، مثل: الآلة، الدولة، السوق، القوة، أو لصالح أشياء أحادية البعد كالجسد، الجنس، اللذة. ثم إن المنظومة التحديثية بدأت بالإعلان عن الإنسان وانتهت إلى القضاء عليه (المسيري، التريكي، 2003، صفحة 15)، هذا هو التجسيد المُرّي لأقول أسس الحداثة أو فراغها من المعنى، أين تحوّل كل شيء إلى عكس ما تم التصريح والعمل به. وما يؤكّد أن حالة العدمية هي نتيجة لكذب مبادئ الحداثة، هو أن حركية مابعد الحداثة قامت لأجل تدمير قواعد حدائية ثلاث، من حيث هي فكر وتوجّه إيديولوجي تنويري، أولى هذه القواعد هي قاعدة الذات، فمن المعروف أن الحداثة تأسست على الوعي بالذات، إلا أن هذا الأمر مع فلاسفة مابعد الحداثة هو وهم وأكذوبة ساحرة، فالذات هي أسيرة المعنى والمعرفة، وهي خاضعة لحكم السلطة، ممّا خلق فضاءات للتسلّط والحجز والعنف. وثاني هذه القواعد هي الحقيقة، حيث ارتكز الفكر الحديث في علاقته المعقّدة مع الوجود إلى الإقرار بالحقيقة المطلقة، لهذا اتّجه إلى العقل وصرامته، غير أن "ميشيل فوكو" عائداً إلى طروحات "نيتشه" و"هيدغر"، أكّد أن الحقيقة هي في النهاية تمظهرات للسلطة، كما راح الفكر المابعد حدثي إلى تصوّر الحقيقة على أنها لعبة لا أكثر، تستخدم لكبت رغبات الإنسان والتحكّم به. أما ثالث هذه القواعد، فهي قاعدة الوحدة، فمن خلال مركزية الذات والحقيقة المطلقة تم معالجة قضية وحدة الوجود، برؤية منطقية تعمل على توحيد كل مجالات الفكر والعمل، وحدة العقل، وحدة المصير، بل الوحدة الأنطولوجية ككل. لكنه في ظل مابعد الحداثة حدث التحوّل من معقولية التوحيد إلى فلسفة التنوّع في الفلسفة والعلوم والاجتماع (المرجع نفسه، صفحة 216-219)، هكذا إذن يتّضح جلياً أن مرحلة مابعد الحداثة كمرحلة عدمية في كثير من تجلياتها، إنما تعود لحظة انبثاقها إلى الروح النقدية التي فعّلتها تُجاه قواعد الحداثة ومبادئها، ممّا يبرّر القول بأن حلول العدمية كان مرتبطاً بها. يبدو أن الحديث عن الذات كمرجعية وحيدة للمعنى وانحسارها في نطاقه، والحقيقة النهائية الموضوعية، والوحدة المعقولية التي توحد كل شيء، أصبح من أوهام الحداثة، نظراً لجملة الحقائق المعيشة في عصر مابعد الحداثة، والتحوّلات الملحوظة في قوالب الفهم والرؤية للعالم. يندّد الفيلسوف الفرنسي الذي يعود له الاستخدام الفلسفي الأول لمفردة مابعد الحداثة "جان فرنسوا ليوتار" (Jean françois lyotard 1924_1998م) على ضرورة كسر هيمنة السرديات الحداثية الكبرى، وبناء سرديات صغرى، حينما يصرّح: "بصيغة أخرى، انتهت مركزية الأنا في إبداعها للمعرفة وفي تحكّمها في التأويلات التي تمنحها لما تبدعه من صور

ورؤى ومفاهيم حول الواقع، وانتفت الحكايات الكبرى التي كانت ترسم خطى الإنسانية وتنبأ بمستقبلها وتهدف آلة تحررها من سيطرة الإقطاع والرأسمالية والاستبداد. لقد نزع العصر الحاضر الشرعنة عن هذه الحكايات، وانتهت محاينة العقل للواقع" (ليوتار، 2016، صفحة 24)، هي مراجعة جدية لمقولات الحداثة، وخلخله عنيفة لاسيما لمقولة الأنا كما تجسدت في الفلسفة الديكارتية، التي تحصر الواقع في نسق فكري مجرد، وتعتقد أنها قادرة بشكل مطلق على فهمه وتأويله بواسطة تمثلات عقلية، وكذلك لمقولة السرديات الكبرى والأيقونات القصصية الواهمة، التي تُضفي طابعاً سحرياً على رؤاها، بخاصة تلك المتعلقة بالإنسان؛ أين تنصب نفسها المحدد العام لمصيره، والعارف لمستقبله، والمحرر لقيوده، في الواقع لقد خلعت اللحظة المعاصرة المشروعية عن هذه السرديات، وانتهى عهد تطابق العقل والواقع، ومحاينة الأول للثاني، بالتالي لا وجود لليقينيات والتحكّم في سير الواقع الاجتماعي والطبيعي، إنها العدمية التدميرية لمبادئ الماقبل التي تفجّرت في عهد المابعد.

4_ مابعد الحداثة وتفجّر دلالات مشهد العدمية

كما سبق التفصيل، فإن مرحلة الحداثة شكّلت منعطفاً محورياً نحو ولوج العقل الغربي عالم العدمية، بسبب الانتكاسة الجارحة للمبادئ المعلن عنها، لتنبثق مرحلة أخرى جاءت على أنقاض سابقتها، لتركب موجة نقدية عاتية، وصلت بها إلى حد العدمية، التي مثّلت مشهداً بارزاً تفجّرت دلالاته على مستوى عديد الأصعدة. يبدو أن التفاؤل بالغد قد أصبح صسمية ذهنية ينبغي كسرها، "وهكذا ضاع الاعتقاد بأن المستقبل سيكون أفضل، وبدا أن الفكر الفلسفي قد انتهى إلى الشك والعدمية" (مفرج، 2009، صفحة 15)، إذن، لقد تمت إعادة توجيه رؤية العالم، من عقلانية متفائلة، إلى رؤية لاعقلانية متشائمة، غيّرت مسارها بفعل الواقع الذي يثبت يومياً أن مسلّمات الحداثة لم تكن سوى مزعمًا إيديولوجيًا لفرض رؤاها وضمان المركزية للعقل الأوروبي. وانطلاقاً من هذا المستجد التاريخي الواقعي، فإن مرحلة مابعد الحداثة عرفت تصاعداً فلسفياً كبيراً للعدمية، إلى درجة أن أصبحت صفة لازمة عنها. في هذا السياق خرج البعض من الفلاسفة إلى ساحة العلن وهم يُندّدون بحلول عصر الخيبة، بالأحرى عصر الفراغ، فراغ القيمة، على شاكلة الفرنسي المعاصر "جيل ليبوفتسكي" Gilles lipovetsky (1944م)، في كتابه الموسوم بـ: "عصر الفراغ، الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة"، حيث يصف المجتمع المابعد حدائي، بأنه مجتمع لامبالاة جماهيرية، يسيطر فيه الإحساس بال تكرار، وتأتي الاستقلالية الفردية في خضمّه أمراً طبيعياً، كما يُستقبل الجديد كاستقبال القديم، ويتحوّل الابتكار حدثاً عادياً، ويخرج المستقبل من نطاق منظور التقدّم الحتمي؛ أين يتوقّف الناس عن رؤيته كذلك (ليبوفتسكي، 2018، صفحة 11)، إنه تبدّل جذري في الرؤية، ملمحها الرئيسي هو العيش بتجاهل، الالحاد بكل ماهو تقدّمي، مُهر، وكأنّ مجتمع مابعد الحداثة

يحيا الكآبة التي تحول دون التشبث بالقيم المثالية المتعالية، والسبب المعروف في ذلك، إنما هو الفراغ الذي أحدثته الحداثة، حينما أنكرت كل مقولاتها، من خلال مشاهد مابعد الحداثة. يُضيف "ليبووفتسكي" في نصٍ يصف حالة المجتمعات التي تسَلَّت إليها العدمية، في قوله: "لقد هجر الناس المحاور الحديثة الكبرى؛ أي الثورة والتخصّصات والعلمانية والطليعة، من فرط الشخصية المتعيّة. وسقط التفاؤل التقني والعلمي، فالاكتشافات العديدة صاحبها تسَلَّح مفرط من جانب القطبين وتدهور للبيئة وميول متزايدة إلى العزلة عند الأفراد. ولم تعد أي إيديولوجية سياسية تملك القدرة على إثارة الحشود، وسقطت الأصنام والتابوهات في المجتمع مابعد الحداثي الذي لم يعد يملك صورة ممجّدة عن نفسه، ولا مشروعًا يبعثه على الحركة. إن الفراغ هو الذي يحكم الآن، لكنه فراغ لا يمثل مأساة أو نهاية العالم" (المرجع نفسه، الصفحات 11-12)، هي صورة جديدة مغايرة تمامًا عمّا سبق، تتمثّل أبعادها الجوهرية في نقد الأسس الحداثية، كالقول بعدمية مفاهيم: الثورة، العلمنة، تقديس العلم، إنه الهجران والتخيلة والعدول عن الأنساق الفكرية والمحاور الإيديولوجية المكتملة النسق. لقد خلع الناس عن ذواتهم عباءات التفاؤل والأمل والسعادة، ولبسوا عباءات أفول وذبول السرديات المؤدلجة، وسقوط الأيقونات الفلسفية المخلّصة، فلم يعد لهذه العقائد من نجوع، إذ أصبحت عاجزة عن تجيش روح المجتمعات، ودفعها للإقدام على الحركة ومحاولة التحكّم، هو فراغ رهيب متكوّن، إلا أنه ليس بوضع تراجيدي مأساوي، أو لحظة نهائية فانية، فالعقل الغربي وعلى حسب عقيدته المستجدة، هذه ردّة فعل مشروعة على فعل الحداثة، وهي متوافقة مع نمطية الوجود المابعد حداثي، الذي يتّسم بتفشّي كبير للمجتمع الاستهلاكي، وفقدان الثقة في كل ما يرتبط بقيم التعالي، هو عصر الفراغ، الذي يدلّ على تحولات عميقة في بنية النظر والعمل للمجتمعات مابعد الحداثة، من دون أن يحيل إلى فناء البشرية، لأن الفراغ بحسب تصوّرات فلاسفة مابعد الحداثة في هكذا مقام، إنما هو عدمية لإعادة تأسيس، إعادة نظر، بالأحرى إعادة برمجة مبادئ. ولا يمكن الحديث عن العدمية الفلسفية كجوهر لمابعد الحداثة، دون التعرّض للشخصية النموذج الفعلي لها، والتي شكّلت حالة عدمية مكتملة الأركان، وهي شخصية "فريدريك نيتشه"، التي سبق الإشارة إلى حضورها القوي ضمن معترك العدمية، وتتوضّح معالم صورة العدمية في نصوص "نيتشه"، "صورة العدمي المكتمل. والعدمي المكتمل هو ذاك الذي أدرك أن العدمية هي فرصته (الوحيدة). إن ما يحدث لنا اليوم بالنسبة إلى العدمية، هو أننا بدأنا نكون، بإمكان أن نكون عدميين مكتملين. تتخذ لفظة العدمية هنا المعنى الذي أعطاه نيتشه لها في الملاحظة الافتتاحية للطبعة القديمة لمؤلّفه إرادة القوة (Will Zur macht): الوضع، حيث يتدحرج الإنسان إلى خارج المركز نحو المجهول" (فاتيمو، 1998، صفحة 23)، حينما يعي مابعد الحداثي ضرورة عدم ماقبله، فإن العدمية تتحوّل إلى ملاذ أخير، إلى منقذ من ضلالات وأوهام العقل الذي استبدّ به عقل آخر بفعل نفوذ السلطة ووجاهة

المقام. هذا هو العدمي المكتمل الذي راهن على العدمية كفرصة ليس بعدها فرصة، كما تجلّى في فلسفة "نيتشه"، الفلسفة الثورية الجذرية، التي قامت بقلب تراتب كل شيء، بالأخص القيم التي كانت سائدة، لتشهد خلخلة جدّ عنيفة، إلى درجة أنها تدرّجت بالإنسان نحو المجهول، إذ تم طرده من المراكز المزعومة والقوالب الفكرية الواهمة، وتم نفي كل شيء، ممّا جعله في دائرة مجهولة، عدمية البداية والنهاية، فجميع الاعتقادات دخلها الشكّ، بل تغلّغل في جوفها، فأسقط مشروعيتها. وترسم العدمية النيتشوية بوضوح ضمن صرخته المشهورة بأن الله قد مات، والآن نريد أن يحيا الإنسان المتفوّق، الإنسان الأعلى باللغة المتداولة (نيتشه، 2014، صفحة 322)، بمعنى موت القيم المتعالية، والحقائق الناجزة، والإيديولوجيات الكبرى، والأفكار المثالية، لقد حلّت عليها العدمية، والآن ينبغي بإرادة القوة أن يحيا الإنسان الأعلى، المتفوّق، المنتصر. وتمثّل هذه النقلة الراديكالية في مستوى التفكير، تشيئاً حقيقياً لقيام النزعات الفلسفية المابعد حدّائية الرافضة لمثاليات اللوغوس، وسيطرة المراكز، وقداسة الأفكار. وعلى الرغم من الوضعية الملحّة للعدمية، كمصير وحيد ارتأى إليه عقل مابعد الحدّائية، فإن هناك فئة فلسفية قرّرت الانتماء إلى تيار العدميين الذين عبّروا عن سخطهم تجاه الحدّائية ومخرجاتها التآزيمية، في ذات الوقت لم يقبلوا بالتماهي الكلّي في حقلها الدلالي، إنما تركوا لدعوتهم الفلسفية فرصة التعبير والتطلّع للأفضل بعيداً عن أشكال اليأس وعبثية الحياة، وأول نموذج سنعرّض له للتدليل على هذه الفكرة، هو الفرنسي، المدعو بفيلسوف الخلاص "لوك فيري".

5. لوك فيري مع خيبة وعود الحدّائية ضدّ خيبة وعود الحياة

لم يجد العقل الغربي حلاًّ غير العدمية، وهو يصطدم بنواتج حدّائية جعلته لا يتردّد عن نفي كل ما تقدّمت به، في ذات السياق رفض الذوبان فيها، والإدّعاء لما تملّيه في غالب الأحيان من تبني ثقافة النفي والليس، إلى حد نفي النفي، ولنا مع الشخصية الفلسفية المعاصرة "لوك فيري"، وقفة ثابتة عند أفكارها، نتبيّن من خلالها كيف ينخرط الفيلسوف في حدث الأزمة، كأزمة العدمية، ثم يخرج من لديها برؤية تبعث على الاستمرارية في التفكير والعمل من أجل تلحيم شقوق الاخفاق، والانطلاقة في مسيرة قوية نحو تحقيق "المعنى" الغائب بفعل هيمنة عقلية الشيطنة.

5_1_ ضياع معنى الحياة

تعد النزعة الإنسانية جوهرًا للتفكير الحديث، تلك النزعة التي تنطلق من الإنسان وتعود إليه، وكأنه ملك الوجود، وُجد ليسكن العالم بتمثّلاته الذي يسكنه، من دون الاعتبار للدلالات والإحالات المقدّسة التي رأى فيها السجّن لحريته، هذه هي عقيدة التقدّم التي لا ترضخ لأي عائق. لكن بحسب منظور "لوك فيري"، فإن هذه النزعة تمثّل مأساة الحدّائية وتراجيديتها، فكيف يكون التصرف مع الانحطاط إذا كان مصير

الإنسان هو التقدّم؟ حينما يحاول الإفلات من جميع القيود التي تكبل غرائزه وحرّيته ضدَّ الطبيعة وحتمياتها، أفلا تكون هذه العظمة النرجسية سبباً مباشراً في ضياعه؟ وإذا كان الإنسان كائنًا تاريخيًا محكومًا بالتاريخية، فكيف يمكن التبرير دلاليًا لقطيعة مع المقدّس الرّبّاني الذي هو قدره ونصيبه؟ حينما تستحوذ عليه النظرة المستقبلية، بحيث يتحوّل المستقبل إلى هاجس لديه وعلى حساب تغييب الماضي وتقاليد القدماء، حينها تتحوّل الشيخوخة الحداثيّة المعبر عنها في شكل حكمة ونضج إلى انحطاط وسقوط. إنه قناع للامعنى، زوال المعنى، تجميل تافه في عالم يفقد يوميًا حقل الدلالات والقيم لصالح المستقبل، يمجّد الشباب ويتعاضم به، فهو الواعد. يجب العمل على إخفاء الشيخوخة الحداثيّة وإفراغها (فيري، 2002، الصفحات 9_10)، لقد ضاع المعنى، معنى الحياة، والمسؤول عن ذلك هو الإنسان ذاته، لما أراد تعظيم شأنه على حساب عديد الأمور الأخرى، والتي لا يمكنه التقليل من أهميتها، أبرزها القدر الرّبّاني، فالإنسان يعيش بإحالات مقدّسة تحميه من الوقوع في متاهة فراغ المعنى، الذي ينقلب ضدّه فيفرغ حياته من كل الدلالات والقيم، ليصبح الإنسان ضدَّ نفسه، ضدَّ حياته، ضدَّ مستقبله الذي منحه بُعدًا إنسانيًا نرجسيًا خالصًا، هي مستتبعات الشيخوخة، التي رادفت الحكمة في الأجندة المفهومية للحداثة، لكنهما مع واقع المابعد ترادف الانحطاط والتدحرج نحو الهاوية، ولذلك يدعونا "لوك فيري" لضرورة إخفائها، وتشبيب الحياة الإنسانية بعودة دلالات الرّبّانية، وحلول القيم، وإعادة إدماج ماضي القدماء، والتخلّي عن ثقافة المستقبل والتفكير التقدّمي الموجّه للغد فقط، هي مناداة جدية لإحلال المعنى. وفي إطار مشاهد الواقع الحالي، وما نعيشه من أزمت وحروب، تتقدّم أطروحة الشيطاني إلى الواجهة، لتحيا بفعالية في زمن يثبت لنا أن الشيطان قد مات، لكن الأسوء منه وهو الشيطاني لا يزال يتجوّل بل يبيت ويسكن.

5_2_ الشيطاني على قيد الحياة

حينما تأسست الحداثة على مركزية الإنسان، فإنها سعت بذلك إلى هدم مركزية الإله باعتباره مصدر كل الشرور التي لحقت به، فكان المسعى الجوهرى هو إفناء المركزية اللاهوتية لصالح المركزية الإنسانية، لكن هل نجحت في ذلك؟ وهل حافظت على موقعها ضمن سياق الإنسانية؟ أم أنها خرجت فقتلتها وأخّيت شيطانية جديدة بفعل الإنسان ذاته؟ تساؤلات يجيب عنها "لوك فيري" في كتابه: الإنسان المؤله أو معنى الحياة (L'homme dieu ou le sens de la vie)، حينما يتحدث عن تحولات الشيطان، متسائلًا وهو العارف بالإجابة، "ماذا قد يأتي الشيطان ليفعله في نهاية هذا القرن، في فجر عام 2000 الذي كان يحمل إلى عهد قريب، كل الوعود الجميلة التي كانت هي وعود الأنوار: تقدّم الحضارة المحمول بتقدّم العلوم والتقنيات، العقل الذي إنتصر أخيرًا على كل الخرافات والمعتقدات الباطلة، حرية الفكر المتحرّرة من السلطات الكهنوتية، السلام الدائم؟ (...) ومع ذلك، فلا شيء تغيّر: يكفي استحضار ما يقع في رواندا أو في

البوسنة لبرز شعور لا يقهر بأنه إذا كان الشيطان قد مات، فإننا لازلنا بعيدين عن القضاء على الشيطاني" (المصدر نفسه، صفحة 73)، هذه هي العدمية الفيرية (نسبة إلى فيري) لمبادئ الحداثة وجواهر التنوير، حيث يصحّ إعلاناً أنه مع وعودها الجميلة التي أرادت من خلال القضاء على شيطان حتمية الطبيعة وسلطة الكهنوت، إلا أن الواقع يناقضها تمامًا، إنها خيبة وعود، ونقض عهد، والأمر من ذلك أنها خلقت شيطاني أسوأ وأخطر من الشيطان الذي قد مات، وما ذلك الشيطاني إلا الإنسان الذي يقتل الإنسان، إنسانية ممزقة متشظية (Torn humanity) تنازع وتصارع بعضها البعض، عن أي احترام للحريات تتحدث الأنوار؟ بل عن أي تنوير تتغنى به وهي التي تسبّب في ظلام من الحروب والاقتتال والتعنيف والتدنيس في بلدان ذنبا الوحيد أنها تختلف دينيًا ولونيًا وجغرافيًا عن خصوصيات العقل الأوروبي المركزي، إنها مفارقة كبيرة، تنطلق من الإغلاء من شأن الإنسان وتنتهي بالقضاء عليه، عبر من؟ عبر الإنسان ذاته، وذلك لما يتحوّل إلى شيطاني لا يهتم للمعاني والقيم، إنما مآربه الوحيد هو السيطرة وتجميع أكبر قدر من الأرباح. ذات الفكرة يدعّمها مواطنه "جيل لبيوفتسكي"، فلننظر إلى "الاجتثاث المنهجي لجذور الساكنة القروية ثم الحضرية، الفتور الرومانسي، الرجل الأنيق المصاب بالكآبة، تدمير 10 كلم مربع من مدينة هيروشيما مع 75 ألف قتيل، و62 ألف بناء مهدم، ملايين الأطنان من القنابل التي ألقيت على الفيتنام، الحرب البيئية باستعمال مبيدات الأعشاب، تزايد المخزون العالمي من الأسلحة النووية، تطهير بنوم بنه من الخمير الحمر، صور العدمية الأوروبية (...)" (لبيوفتسكي، 2018، صفحة 37)، هي مظاهر بائسة تعيشها البشرية المعاصرة، بخاصة الضعيفة منها؛ أين تدفع ثمن جنون العقل الغربي الحداثي الموهوس بالتقدّم، والتحكّم بالكون، وإجراء التجارب العلمية حتى وإن كان الإنسان هو حقل التجريب، تضرّر البيئة وانبثاق ما يسمّى بالأزمة الإيكولوجية، خطر السلاح النووي، وغيرها من مشاهد العدمية، التي أصبحت مصير العقل وهو يُحاكم نتائج الحداثة. يبدو أن الفكر الفلسفي المعاصر وبالتحديد الفكر الفرنسي، عازم على دحض مقولات الإنسان المثالي أو التبشير بها، لأن الإنسان الذي أحببناه أو كما تصوّرناه، ودافعنا عنه وعن قضاياه، دخل الوهم، فهو على وشك الاختفاء والموت (مفرج، 2009، صفحة 17)، لقد اتفقت معظم الجهود الفلسفية الفرنسية المعاصرة على تفكيك الإنسان البريء، الجريء، والقوي المنتصر لبراديغم الحق، الذي رسمته لنا الحداثة، ووعدتنا بتحقيقه، لم يعد بالإمكان الوثوق بهذه المسألة، بل على العكس من ذلك صعود حركات شكوكية رهيبة تنتقد النزعات الإنسانية، انطلاقًا من مآسي البشرية، وأزماتها، ومهلكاتها، فالعصر المعاصر يُثبت وجود بربرية قاتلة في العيش، تتجلى من خلال ضديّة الإنسان للإنسان. في مقابل هذه العدمية المسجلة، يحرص "لوك فيري" على التثبيت أكثر بالحياة والتطلّع نحو النجاح والسعادة، في موقف يدلّ على الاعتراف بالأزمة مع عدم الخضوع لها، حتى لا يتحوّل إلى عدمي ينفي، ينقد، ولا يبني. ولهذا يحدّد لنا "فيري" مفهوم جديد للحياة،

ويعلمنا سبع طرائق لبلوغ السعادة، في تأكيد منه أنه إذا نقضت الحداثة العهد وتخلّت عن الوعد وخبّبت الآمال، فإن الحياة لا تزال عند وعودها، فقط ينبغي بإصرار اتباع دروس المعنى، والعمل على انسيابيته.

5_3_ معنى الحياة، لزومية المقدّس، تعلّم كيف تكون سعيداً؟

لقد تعدّد المفهوم الفلسفي للحياة، بحسب تعدّد المشارب الفكرية والرؤى الموجه لفهم العالم، وفي هذا الإطار عبّر "لوك فيري" عن تصوّره للحياة الناجحة، والمقصود بمسألة المعنى.

5_3_1 معنى الحياة

في البداية، نتساءل: ماذا نعني بالضبط بالمعنى؟ ما الذي يريد المعنى إيصاله؟، نلاحظ من خلال التساؤل الثاني أن المعنى مشروط بالإرادة، وبالتالي لا يوجد معنى في غياب الإرادة، وكلّ ما ليس صادراً عنها لا يندرج تحت المعنى، ولو كانت لاشعورية مثل فلتة اللسان، كلّ ما هو خارج عن الذاتية وهكذا، لأنه ما من شخص سيطلب إرفاقه بمعنى الطاولة أو الكلب على سبيل المثال (لوك فيري، 2002، صفحة 25)، إذن تتعلّق مسألة المعنى بالإنسية، "لأن المعنى لا يوجد إلا في علاقة شخص بشخص، إلا في رباط يوحد بين إرادتين، سواء تم تفكيرهما أم لا لإرادتين إنسانيتين خالصتين" (المصدر نفسه، صفحة نفسها)، فالإنسانية هي وحدها التي تميّز بالإرادة والذاتية والقدرة على التعبير وتكوين علاقات إرادية، للتعرف، التواصل والانتفاع، هي القدرة على ربط أواصر المعنى. وعن معنى الحياة الناجحة والجيدة، فهي الناجحة بالمعنى الفلسفي، التي لا تختزل في النجاح الاجتماعي، والأديان، ولكن أيضاً ضمن الرؤى الفلسفية العظيمة المقتنعة بوجود وجود حياة جيّدة لا تقاس بالنجاحات فقط، وإنما تقاس بمدى اكتمالها كحياة ذات معنى (servan-scriber, p 1)، يلحّ "فيري" كثيراً على المعنى، بل يجعله جوهرًا للحياة الناجحة، وفي هذا المنحى ينتقد المفهوم الكلاسيكي الكوسمولوجي الذي عرّف الحياة على أنها انسجام مع النظام الطبيعي للعالم، في حين الأجدر أن نتعلّم العيش في انسجام مع النظام الروحي للبشرية، لأن الحكمة الحديثة خلّفت عواقب وخيمة نتيجة قطعها للصلة مع الروحي المعنوي (ibid, p. 2)، هي دعوى صريحة للعودة إلى حضن القيم الإنسانية، ليس في شكلها المتعالي الصوري الذي يُوهم بأنه يتجاوز المماهة الأنانية للذات والمحايثة معها، بل في صيغتها العملية التشاركية التي تولّد وتتولّد عن نظام المعنى. والحديث عن معنى الحياة الناجحة، وشروط ذلك، هو حديث يقودنا إلى كسر العدمية والخروج عنها، فالقول بالمعنى هو تمسّك بالحياة، والثقة في وعودها إذا ما أخذنا بأسباب الوفاء بها، وضمن هذه الرؤية وفي عصر الثورة البيوتكنولوجية، "سيوافق" "لوك فيري" وهو عزّاب الإنسانية الفائقة في فرنسا، على جسارة المشروع ووعوده المبهرة التي ستخلّص الإنسانية من الشيخوخة والموت، ليكون قدرها ملك يدها (...)" (بوحناش، 2017، صفحة 15)، هو موقف تفاؤلي بالحياة المستقبلية لما بعد الإنسانية، الإنسانية الفائقة (Transhumanist) والتي على حسب منظوره ستنحصر على مُهلكات الطبيعة وحتمياتها بفعل

إرادتها وما تقرّره؛ لأن الشيخوخة والموت شرور مشابهة للأمراض الخطيرة، أو أكثر خطورة ورعبًا، لذلك يجب على الطب، إذا سمحت التقنيات الجديدة أن يقضي عليها بشكل نهائي (ferry, 2016, p. 8)، إذن، تتفوّق النزعة التقدّمية لدى "فيري" على حساب تيار العدمية الجارف للرؤى العبثية التشاؤمية، حينما يؤمن بقدرة الطب بما تتيحه له التقنية من تغيير قدر الإنسان المعطوب بالأمراض والشيخوخة والموت، إلى قدر جميل يكتبه هو ذاته وتجسّده مخابر البحث والتجريب. وتقوى أكثر أطروحة المقاومة لأجل الحياة الناجحة، عندما يعود المقدس (Sacred)، معنى ذلك أنه غاب يومًا ما؟ ربما لا، فقط تغيّرت تجلّياته.

5_3_2_ لزومية المقدس

على الرغم من تجربة الانفصال التي أرسّتها الحداثة مع المقدس، إلا أنه لم يختفي يومًا، ليرز حضوره القوي في أدبيات الفلسفة الغربية المعاصرة، فهو على حد تعبير الروماني "مرتشيا إلياده" Mircea eliade (1907_1986م) الوعي ذاته. ولقد أكّد عليه كثيرًا "فيري" واصفًا إيّاه بأنه قلب الإنسان نفسه، وهذه الكيفية هي التي تعتبر بها الإنسانية المتعالية إنسانية الإنسان - الله، إذا لم يكن الرجال بطريقة ما آلهة، فإنهم لن يكونوا بشرًا، يجب أن نفترض وجود شيء مقدس فيهم، أو نقبل اختزالهم إلى الحياة الحيوانية (ferry, 1996, p. 240)، إنه الإنسان المؤله الذي لا يمكن أن يتجرّد عن أي دلالة تقديسية، فالمقدس هو جوفه، ومهما تراجع لصالح العلمنة والعقلنة، فإنه لن يختفي أو يزول، فقط تبدّل تجلّياته بحسب تبدّل مقولات الفهم، ونماذج التفكير والتعبير، حيث وبعد زمن التحرّر والانفلات، عاد التقديس إلى الواجهة، وذلك مع مستجدات التطوّرات العلمية التقنية في مجال البيولوجيا؛ أين جعلت من الجسد إنساني حقل تجربة، لتتعالى الأصوات الفلسفية الإيتيقية وتنذر بالخطر، بتبرير القدسية، "تقديس جسد إنساني لا يمكن أن يقدم هكذا دون حماية إلى سلطات التقنية العلمية، رموز هذه الإنشغالات الأخلاقية الجديدة، خلال سنوات الثمانينات ظهرت اللجان الأخلاقية المكلفة بتقدير وتقييم نتائج وعواقب التقدم العلمي" (فيري، 2002، صفحة 142)، هذا ما يوضّح أن المعنى لا يزال قائمًا، وأن الحرمة والتقديس موجودان، لولا ذلك لتركّ الجسد كرابط يجمع الإنسان بالمقدس، ليأخذ صفة التقديس شيئًا عبثيًا يمكن التلاعب به، ولهذا نشهد عودة قوية للسؤال الأخلاقي، تنديدًا بضرورة احترام قدسية الجسد. وتكميلًا لميثاق معنى الحياة الناجحة، يعلّمنا "فيري" الطرائق السبع للسعادة.

5_3_3_ كُن سعيدًا

لطالما شكّلت السعادة مطلبًا ملجأ للبشرية، وهدفًا منشودًا، ولهذا اختلفت الطُرق المسطّرة لبلوغها، والأحكام التقييمية لطبيعتها بين من يعتقد بإمكانية إدراكها بمطلقية، وبين من توقّف عند حكم النسبية. ويتقدّم "لوك فيري" بسبع طرائق وأفعال كترشيد للسعادة، وهي: "أن نحب، وأن نعجب بشيء ما، وأن

نتحرّر، وأن يتّسع أفقنا، وأن نتعلّم، وأن نبتكر وأن نعمل" (فيري، 2018، صفحة 61)، وكلّها تشير إلى التمسك بالحياة وفق نظام المعنى، والقيم العملية التوليدية الابتكارية، هي سبع طرق تحاجج ضدَّ عبثية الحياة وعدميتها. وبرؤية أخرى مميّزة يتقدّم مواطنه "أندريه كومت سبونفيل"، ليلمقّصل هو كذلك ضمن التيار الفلسفي الذي صدّق عدمية كتوجّه مابعد حدّائي، في ذات اللحظة كدّب ضرورة التحايت ورؤاها.

6_ أندريه كومت سبونفيل والدعوى إلى إرساء ثقافة العمل بدل ثقافة الأمل

تعد قضايا الأخلاق، السياسة، الحب، السعادة، من المحاور الفلسفية الملوقة المنوطة مباشرة بحياة الإنسان، والتي اشتغل عليها الفيلسوف "أندريه كومت سبونفيل"، وقدم حولها رؤية مميّزة، انتقد من خلال التصورات السائدة، بخاصة ثقافة الأمل، ودعى بالمقابل إلى التحلّي بثقافات فلسفية عملية تمكّنا من تحقيق رغباتنا وفق ما نريد ونستطيع.

6_1 نقد ثقافة المعنى

إذا كان "لوك فيري" قد أكّد كثيرًا على المعنى، فإن "سبونفيل" على النقيض من ذلك رفضه لصالح الحقيقة، التي رأى أنها المبحوث عنه في عالم التفلسف، ومن ينتصر للمعنى باعتباره مدار البحث، فإن "سبونفيل" يمارس له سياسة تخييب الطلب، فالذي ينبغي أن نحبه ونبحث عنه ونعمل لأجله هي الحقيقة وليس المعنى، ففي النهاية لا يوجد سوى الواقع، الكائن، وهو ما يسميه باليأس (دورتي، 2009، صفحة 283)، هو نقد مباشر للعقلية الغربية المفكّرة بخاصة تلك التي نشطت في فترة العصر الحديث، والتي قالت بالمعنى ومنه القيم الصورية ومثاليات السلوك، في حين الواقع يدلّ على وجود قيم أخرى تمامًا؛ بالتالي فالتفلسف يجتهد للبحث عن الحقيقة، عن حقيقة الواقع وليس المعنى الذي يأسر في عالم الصورية المثالية، التي توهم بضرورة التعلّق بالأمل.

6_2 نقد ثقافة الأمل

في إطار عدمية الفكر السبونفيلي، وإن تكن عدمية جزئية، فإنه يتعرّض بالرفض لعقيدة الأمل الصارخ، بتبرير أنه سرعان ما تلحقه الخيبة فيؤلّد الشعور بالتعاسة، "لا شيء للأمل، ينبغي القيام بكلّ شيء! هناك على أية حال شيء من اليأس في الوضع الإنساني إن عشناه بلا كذب وبلا وهم. بداية بسبب الموت الذي تتحطّم على صخرته آمالنا. ثم بفعل هذه الآمال نفسها التي قدرها أن تكون خائبة دائمًا: إما لأنها لم تتحقّق وإما لأنها تحقّقت"⁽³²⁾ (المرجع نفسه، صفحة 285)، إذن، يمثّل الأمل حالة من اليأس بسبب نتيجته المحيطة باستمرار، وهو ما يحيل مباشرة إلى أن السعادة نسبية وغير مكتملة، إنها مثالية كالحكمة، نتطلّع إليها فلا ندركها، فحينما نرغب فإننا نسعى لكي نحقّق تلك الرغبات، لكن ما إن تتحقّق

فإنها تصبح من المتوقَّع لدينا، وهكذا في دوَّامة مستمرة من الحاجة. يصرَّح "سبونفيل": "تتكثَّف فلسفتي كلها هنا في هذا النقد للأمل، في هذا المديح للإرادة والحب" (المرجع نفسه، صفحة 286)، هو موقف عديم تُجاه الأمل، الذي لا فائدة منه سوى تكديس البؤس واليأس، مع ذلك ننفلت من العدمية لننخرط في ثقافة تنتج لنا الغبطة وتحقِّق رغباتنا، وهي الإرادة والعمل.

6_3 في التأكيد على ثقافة الإرادة والعمل: دعوى للانكباب حول ما نستطيع

إذا فقدنا الثقة في الأمل، فمن هو المعني بثقتنا؟ إنه العمل، القيمة التي يدعو "سبونفيل" بالحاح إلى تبنيها، إذ "لا شيء يحدث إلا بالعمل، والعمل ليس قضية أمل، بل هو قضية إرادة (...) يتعلَّق الأمر بقليل من الأمل وبكثير من الرغبة، لكنني أكرِّز مرة أخرى أنه لا يمكننا الرغبة إلا فيما نملك أمره، ما يفترض أن شيئاً بنا في الواقع! أما البؤس فهو بالضبط عندما لا أملك أمر شيء. وبهذا ينتج عن اليأس مديح للإرادة والعمل (...) " (المرجع نفسه، الصفحات 284-285)، يجب أن نرغب فيم نملك الإرادة والعمل على تحقيقه، لا نرغب في كل شيء كما يدعونا الأمل، إنما نحبُّ إلا ما يقع في نطاق إرادتنا وقدرتنا، ما نستطيع القيام به حتى لا نُصاب بخيَّبات أمل. فحتى الفضائل وهي قيمنا الأخلاقية، تُجسَّد إلا فيم نملك أمره، فيم يمكننا العمل عليه (sponville, 1995, p. 262)، وهنا تتحوَّل ثقافة العمل إلى نسق شُمولي في الأخلاق، الوجود، السياسة والسوسيولوجيا. وتتكثَّف دلالة هذه الفكرة في مفهوم الفلسفة لدى "أندريه كومت سبونفيل" وفي طبيعة التفلسف الذي يرغب في ممارسته.

6_4 الفلسفة والعمل

من الأعراف الفلسفية المتداولة، هي البحث عن مفهوم لها، حيث اجتهد كل فيلسوف، وقَدَّم لنا مفهومًا حول المصدر الماهوي للمفاهيم، فما هي الفلسفة عند "سبونفيل"؟، يعرفها بقوله: "الفلسفة نشاط، جهد، هدفها الحكمة تمامًا، قلنا ما يكفي أن الفلسفة ليست الحكمة ولكنها في جميع الأحوال طريق الفكر الذي ينشدها أو يقارنها. الفلسفة عمل، والحكمة تصبح استراحة، الفلسفة نوع من الخطاب، بينما الحكمة نوع من الصمت، الفلسفة ضرب من التفكير، أما الحكمة فنوع من الحياة" (سبونفيل، 2008، صفحة 124)، بهذه الكيفية تصبح الفلسفة فنًا للعيش، ممارسة وعمل، تتطلَّع للحكمة لكنها ليست هي ذاتها، فالفلسفة تشترط النشاط والتجديد والبعث والتحيين، بينما الحكمة تشترط الصمت والانصات، ولهذا فالفلسفة هي العمل، هي الإرادة والرغبة، هي التفكير. وتشدُّنا دلالات هذا المفهوم إلى التمسك أكثر بالحياة، لكي نحقِّق الرغبات وفق ما نستطيع بالعمل والإرادة. أما عن طبيعة التفلسف الذي يفضِّله "سبونفيل"، فهو التفلسف الشخصي، التعبير بالأنا، لقد رغب دائمًا في ممارسة الفلسفة الحية، التفلسف هنا ولحسابه الخاص (دورتي، 2009، صفحة 281)، هكذا يتَّضح لنا كيف أنه دخل عبر

العدمية ولم يمكث داخلها، بل خرج منها وهو يحمل دعوى فلسفية تلخّص في عبارة: "الفلسفة فنًا للعيش"، وما هو فني لا يمكن أبدًا أن يطاله العبث والسخرية، خاصة إذا ارتبط بالرغبة والإرادة والعمل.

7. خاتمة:

لقد مثّلت أزمة العدمية في تاريخ العقل الغربي، لحظة محورية أعادت ترتيب العديد من الأفكار، المقولات، والاعتقادات، وغيّرت منحنى التفكير وأحلّت رؤى جديدة أهم ما تتّسم به هو النفي. وضمن هذا المعترك برز العقل الفلسفي، وهو يعدم قداسة اللوغوس والقيم المتعالية التي تمخّضت عنه، ويزعزع الثقة في ثقافة الأمل، بتبرير حال الواقع المتأزم. لكن، ولأنه ليس من شيم الفيلسوف أن ينقد فقط، إنما يبني ويؤسّس، ذلك هو التفلسف الحق، فضّل جملة من الفلاسفة استثمار العدمية في المسائلة والمحكمة، وفي ذات الوقت في إعادة بعث شعاب المعنى والحياة والعمل والإرادة، ويحضر الفيلسوفين الفرنسيين المعاصرين "لوك فيري" و"أندريه كومت سبونفيل" كنموذجين لهذه الفكرة: مع العدمية ضدَّ العدمية.

8. قائمة المصادر والمراجع

• المصادر باللغة العربية

- 1_ سبونفيل، أندريه كومت، (2008)، الفلسفة، أبوظبي، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
- 2_ فيري، لوك، (2002)، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، الدار البيضاء، أفريقيا للشرق
- 3_ فيري، لوك، (2018)، مفارقات السعادة، سبع طرائق تجعلك سعيدًا، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر

• المصادر باللغة الأجنبية

- 1_ Ferry luc, (2016), la révolution transhumaniste-comment la technomédecine et lubérisation du monde vont bouleverser nos vies, édition plon
- 2_ Ferry luc, (1996), l'homme dieu ou le sens de la vie, paris, grasset
- 3_ Sponville andré comte, (1995), petit traité des grandes vertus, paris, pressus universitaires de france

• المراجع باللغة العربية

- 1_ المسيري، عبد الوهاب، التريكي، فتحي، (2003)، الحداثة وما بعد الحداثة، دمشق، دار الفكر

- 2_ بوحناش، نورة، (2017)، البيوايتيقا والفلسفة، من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي، بيروت، المؤسسة العربية للفكر والإبداع
- 3_ تورين، آلان، (1997)، نقد الحداثة، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة
- 4_ دورتي، جان فرنسوا، (2009)، فلسفات عصرنا، تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها، بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف
- 5_ سبيلا، محمد، بنعبد العالي، عبد السلام، (2006)، الحداثة وانتقاداتها، نقد الحداثة من منظور غربي، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر
- 6_ عطية، أحمد عبد الحليم، (2008)، مابعد الحداثة والتفكيك، مقالات فلسفية، القاهرة، دار الثقافة العربية
- 7_ فاتيمو، جيانى، (1998)، نهاية الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة مابعد الحداثة، دمشق، منشورات وزارة الثقافة
- 8_ ليبوفتسكي، جيل، (2018)، عصر الفراغ، الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات
- 9_ ليوتار، جان فرنسوا، (2016)، في معنى مابعد الحداثة، نصوص في الفلسفة والفن، المغرب، المركز الثقافي العربي
- 10_ مفرج، جمال، (2009)، الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات، بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف
- 11_ موران، إدغار، (2012)، هل نسير إلى الهاوية؟، المغرب، أفريقيا للشرق
- 12_ نيتشه، فريدريك، (2014)، هكذا تكلم زرادشت، كتاب لكل ولا لأحد، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

• المراجع باللغة الأجنبية

1_ Servan-scgreiber, jean, louis, ©<http://www.psychologies.com/moi/se-connaître/bonheur/articles-etdossiers/les-chemins-d-une-vie-reussie/luc-ferry-trouver-un-sens-à-sa-vie>

• المعاجم

- 1_ مدكور، إبراهيم، (1983)، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية
- 2_ وهبه، مراد، (2007)، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار قباء الحديثة